Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. 6, No. 2, (Issue 12) Spring & Summer 2023: 41-56
DOI: 10.30473/ANB.2024.70967.1402

ORIGINAL ARTICLE

Civil Society and Citizenship Rights in Nahj al-Balagheh‹Subject of Study; Wisdoms and Letters

Seyed Ahmad Ali Hashemi [1], Qader Qaderi [2(ORCID:0000000171377567)], Mohammad Mahdi Roshan Chesli [3(ORCID:0000000248152615)]

1. Assistant Professor of Law Department, Payam Noor University, Tehran, Iran
2. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Payame Noor University, Tehran, Iran
3. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Payame Noor University, Tehran, Iran

Correspondence:
Qader Qaderi
Email: qaderi@pnu.ac.ir

Received: 09/Apr/2024
Accepted: 04/Dec/2024

How to cite:
Hashemi, S.A.A., Qaderi, Q., Roshan Chesli, M.M. (2023). Civil Society and Citizenship Rights in Nahj al-Balagheh‹Subject of Study; Wisdoms and Letters. *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*, *6*(2), 41-56. doi:10.30473/ANB.2024.70967.1402

ABSTRACT

Today, the issue of civil society and "citizen's rights" and topics such as: freedom of thought, equality, freedom of expression, free education, freedom to choose residence, freedom to choose work, etc., are slogans called for by various groups and factions, and sometimes they use them as a tool to promote their ideas and attract masses of people. International institutions and people-oriented organizations also pay great attention to this issue and in order to keep their intellectual market warm, they compete with each other to address it. Satanic forces and political mafias, with attractive masks but malicious intentions, use this lever to humiliate Muslims and implement their evil plans in Islamic societie. Unaware that the religion of Islam, 1400 years ago, has given this issue special attention in its social rules and principles, and many verses from the Holy Qur'an and many noble hadiths of the Prophet have analyzed citizenship rights from their various aspects. The pure life of the Ahl al-Bayt is also is a living example of the affirmation of these rights. The religion of Islam has has tried hard to provide man with a life full of comfort, dignity, and security. In addition to human rights, Islam recognizes the rights of animals and plants. This article aims to study the issue of civil society and citizenship rights in a descriptive-analytical manner in light of "the wisdom of Imam Ali and his messages." The research results indicate that elements such as: The existence of a social security system, welfare and a dynamic economy, justice and equality, freedom to express one's opinion and choose a job, the right to criticism, an activist spirit, the right to enjoy human dignity and the right to enjoy security are some of the most important elements about citizenship rights in the wisdom and messages of Nahj al-Balagha.

KEYWORDS

Imam Ali (PBH), Nahj al-Balagha, Civil Society, Rights, Citizenship

Copyright © 2024 The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة السادس، العدد الثانی (المتوالي ١٢) ربیع و صیف ١٤٠٢ ش/ ١٤٤٥ق. (٥٦-٤١)

DOI: 10.30473/ANB.2024.70967.1402

«مقاله پژوهشی»

المجتمع المدني وحقوق المواطنة في نهجالبلاغة،«الحِكَم والرسائل نموذجا»

سید أحمدعلی هاشمی [١] ، **قادر قادری** [٢](اركيد: ٠٠٠٠٠٠٠١٧١٣٧٧٥٦٧) ، **محمدمهدی روشن چسلی** [٣] (اركيد: ٠٠٠٠٠٠٠٢٤٨١٥٢٦١٥)

١. أستاذ مساعد في قسم القانون بجامعة بيام نور ، طهران، إيران

٢. أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة بيام نور، طهران، إيران

٣. أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة بيام نور، ، طهران، إيران

الكاتبة المسؤولة:

قادر قادری

بريد الالكتروني: qaderi@pnu.ac.ir

تأريخ القبول : ١٤٤٦/٠٦/٠٢

تأريخ الاستلام: ١٤٤٥/٠٩/٢٩

إرسال الاستشهاد إلى:

هاشمی، سید أحمدعلی، قادری، قادر، روشن چسلی، محمدمهدی. (١٤٤٥) المجتمع المدني وحقوق المواطنة في نهجالبلاغة،«الحِكَم والرسائل نموذجا». *دراسات حديثة فی نهج البلاغة* ٥٦-٤١،(٢)٦

doi:10.30473/ANB.2024.70967.1402

الملخص

لقد أصبحت اليوم قضية المجتمع المدني و"حقوق المواطنة" وموضوعات مثل: حرية الفكر، المساواة، حرية التعبير، مجانية التعليم، حرية اختيار مكان الإقامة، وحرية اختيار العمل، وغيرها، شعارات تنادي بها مختلف الجماعات والفصائل، وفي بعض الأحيان يستخدمونها كأداة لترويج أفكارهم وجذب جماهير الناس. كما تُولي المؤسسات الدولية والمنظمات الشعبية اهتماماً كبيراً بهذه القضية، ومن أجل الحفاظ على سوقها الفكرية دافئة، فإنها تتسابق مع بعضها البعض في التطرق إليها. إن القوى الشيطانية وعصابات المافيا السياسية- ذات الأقنعة الجذابة ولكن ذات النوايا الخبيثة- تستخدم هذه الرافعة لإذلال المسلمين وتنفيذ مخططاتها الشريرة في المجتمعات الإسلامية. غير مدركين أنّ دين الإسلام منذ ١٤٠٠ عاماً قد أولى هذه القضية اهتماما خاصا في قواعده ومبادئه الاجتماعية، وقد قامت آيات كثيرة من القرآن الكريم والعديد من الأحاديث النبوية الشريفة بتحليل حقوق المواطنة من جوانبها المختلفة. كما أن الحياة الطاهرة لأهل البيت هي مثال حي على التأكيد على هذه الحقوق. لقد حاول دين الإسلام جاهداً أن يوفّر للإنسان حياة مليئة بالراحة، والكرامة، والأمان. لقد اعترف الإسلام علاوة على حقوق الإنسان، بحقوق الحيوانات والنباتات. يهدف هذا المقال إلى دراسة موضوع المجتمع المدني وحقوق المواطنة بطريقة وصفية- تحليلية في ضوء «حِكَم الإمام علي ورسائلِه». وتشير نتائج البحث إلى أن عناصر مثل: وجود نظام الضمان الاجتماعي، والرفاهية والاقتصاد الديناميكي، والعدالة والمساواة، وحرية التعبير عن الرأي واختيار الوظيفة، وحق النقد، والروح الناشطة، وحق التمتع بالكرامة الإنسانية وحق التمتع بالأمن هي من أكثر العناصر ذات الأهمية حول حقوق المواطنة في حِكَم ورسائلِ نهج البلاغة

الكلمات الدليلية:

الإمام علي(ع)، نهجالبلاغة، المجتمع المدني، الحقوق، المواطنة، الحِكَم والرسائل

حقوق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها. ١٤٠٣. ناشر هذه المقالة هو جامعة بيام نور.

يتم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأى استخدام غير تجارى لها بشرط الاستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة فى العنوان أدناه.

Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

مقدمة

منذ قديم الزمان ومنذ بداية تكوين الحياة الاجتماعية الإنسانية، كانت كيفية إدارة شؤون المجتمع محلَّ اهتمام عامة الناس من الحكماء والعلماء في مختلف مجالات العلوم والفلسفة. لقد أَوْلَتِ العديدُ من المدارس الفكرية والفلسفية في مجالات السياسة وعلم الاجتماع والاقتصاد اهتماماً خاصاً بمسألة إدارة المجتمع وإدارة الحكومة، وتشير الأهمية الكبيرة للحكم في الفكر الإنساني إلى أن الإنسان كان دائما يحاول إيجاد النموذج الأمثل للحكم وأن يستخدم في أرض الواقع أفضل الأساليب السياسية. ويستمر هذا الجهد حتى يومنا هذا.

يُعَدُّ الإمام علي(ع) من الكبار والحكماء الذين اهتموا كثيراً بموضوع إدارة المجتمع، وهو بحق جوهر التربية النبوية، والقدوة الواضحة للصراط المستقيم، وولي المؤمنين، والهادي إلى الدين القويم، وصاحب علم الكتاب، وحافظ الحقائق، والمستعين بالقرآن والشرائع الإلهية، وقد ترك نموذجاً سياسياً واجتماعياً خالداً في بيئة برؤيته وشخصيته التقية، البيئة التي تغيّرت فيها المعايير وتحوّل الحق فيها إلى الباطل، كما ردّد الإمامُ مرة أخرى الصدى الملكوتية للنبي الكريم(ص).

ويرى مؤلفوا هذا المقال أن أفكار أمير المؤمنين(ع) تتجاوز بكثيرٍ المفاهيمَ والتعريفات الحديثة للمجتمع المدني، وأن حقوق المواطنة المنصوصة عليها في حياته(ع) هي أكثر تقدمية بكثير مما هو موجود الآن في المجتمع المدني الغربي، وربما لا يمكن العثور على الحقوق التي أقرّها الإمام لحياة المواطنين الكريمة حتى في الحكومات الأكثر تقدما اليوم.

وعلى هذا، يمكن القول بأن أقوال الإمام علي(ع) وأفعاله هي أفضل نموذج للمجتمع المدني في المجتمعات الإسلامية، كما أن منهجه وسلوكه السياسي نموذج شامل وكامل في كافة المجالات الإنسانية لجميع الباحثين عن الحقوق. وأنّ سيرته الاجتماعية تتوافق مع حقوق المواطنين، وتؤكد على الحرية والتسامح والعقلانية والديمقراطية، ويمكن لأيّ مجتمع، في أيّ زمان ومكان، أن يتوجه نحو المدينة الفاضلة والمجتمع المدني باستخدام هذا النموذج الراشد.

يدور الحديث في هذا البحث حول قضيتين مهمتين هما "المجتمع المدني" و"حقوق المواطنة" من وجهة نظر الإمام علي(ع). إنّ المجتمع المدني ليس فكرة مثالية بعيدة المنال، ومن ناحية أخرى، فهو ليس مفهوما غربيا وغير ديني تماما، بل هو مفهوم وسط بين المجتمع والدولة، والذي يمكن أن تعمل بشكل جيد أو سيئ وفقاً للتكوين الصحيح أو الخاطئ لعناصرها. إنّ المجتمع المدني المثالي والمرغوب فيه والكامل والتقدمي هو الذي يعمل في اتجاه الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وضمان سعادة البشر.

لذلك، فمن واجب كل إنسان مسلم أن يتعرف على آراء الإمام علي فيما يتعلق بالمجتمع المدني وحقوق المواطنة، من أجل النهوض بمجتمعه ووطنه، الذي هو بحق مثال جيد للمجتمع المتحضِّر. ولتحقيق هذا الهدف سيتم في هذا المقال دراسة العلاقة بين الدين والمجتمع المدني أولاً، ثم سيتم دراسة خصائص المجتمع المدني من وجهة نظر الإمام علي(ع).

طريقة البحث

يُعَدُّ هذا البحث من النوع الأساسي ويفحص البيانات بطريقة وصفية تحليلية. محور البحث هو حقوق المواطنة في "حِكَم ورسائل نهج البلاغة" والتي سيتم تحقيقها باستخدام المصادر المتوفرة في المكتبات والمصادر الالكترونية الموثوقة والمكتبات الافتراضية وقراءة الكتب والرسائل العلمية والمقالات المتعلقة بالموضوع.

خلفية البحث

تم حتى الآن نشر العديد من الأعمال المتعلقة بموضوع هذه المقالة في المجلات العلمية، ومن خلال تحليل محتواها يمكن معرفة الفرق بين هذه وتلك و جِدَة اختيار البيانات في الجزء الرئيسي من المقالة:

مهديه عربی‌فر(١٣٨٩) مقال «مفهوم حقوق المواطنة في نهج البلاغه» مجلة معرفت، السنة ١٩، الرقم ١٥٣. في البحث الحالي تم عرضُ مفهوم وحقوق المواطنة من وجهة نظر الإمام علي في البعدين العلمي والعملي، ولهذا الغرض تم بحث مفهوم وحقوق المواطنة في نهج البلاغة مع التركيز على سبعة محاور: أرضية المواطنة، أساسيات المواطنة، محتوى المواطنة، عمق المواطنة، نوع المواطنة، نطاق المواطنة وأحداث المواطنة. وأخيراً، تبين أنه خلافاً لنوعي المواطنة في الأنظمة الديمقراطية التي تقوم على الحقوق، وخلافا للأنظمة الاستبدادية، والتي تقوم أساساً على الواجبات،

فإن أمير المؤمنين في نهج البلاغ يؤمن بالمواطنة القائمة على الحقوق والواجبات.

سياوش بور طهماسبي وآذر تاجور(١٣٩٠) مقال «حقوق وتربية المواطنة في نهج البلاغة» مجلة الأبحاث العلوية، معهد بحوث العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة٢، الرقم٢. في هذا المقال، ومن خلال تقديم تعريف المواطنة ومكانتها، وكذلك رأي القرآن فيها، يتم بحث حقوق المواطنة من وجهة نظر نهج الإمام علي(ع) في المحاور المعرفية والمجالات العاطفية والسلوكية، وأخيراً يتبين أن المواطنة في العالم المعاصر ابتعدت عن معناها الحقيقي، وأنّ توافق نظريات حضرة علي(ع) مع قوانين عالم اليوم يجعل هذا البعد عن المواطنة أكثر وضوحا.

محمود عباسبور وآخرون(١٣٩٥) في مقال «تأمل في مظاهر حقوق المواطنة في تعاليم القرآن ونهج البلاغة»، أخلاقيات البيولوجيا الفصلية، السنة ٦، العدد ٢١، توصلوا إلى أنه في القرآن الكريم وكلام المعصومين، مع شرح القواعد العامة لحقوق المواطنة، تم تصميم آليات لتنفيذ وبلورة هذه الحقوق في المجتمع.

أحمد رضا خزايى(١٣٩٥) في مقال «تحليل مجالات حقوق المواطن في نهج البلاغة» مجلة الأبحاث الدينية، الرقم٣٣. ناقش المؤلف في هذا المقال قضايا مثل الحق في كسب العلم، حقوق المواطنين من الدخل القومي، مراقبة النظام القضائي من أجل الوفاء بحقوق المواطنين، مراقبة أداء الفاعلين الاقتصاديين.

علي رضا بوربافراني(١٤٠٠ ش) في مقال «حقوق المواطنة في نهج البلاغة بالاستناد إلى الخطبة ٢١٦» فصلية دراسات حديثة في نهج البلاغة. السنة الرابعة، العدد. يعتقد صاحب هذا المقال أن حقوق المواطنة مزيج من واجبات ومسؤوليات المواطنين تجاه بعضهم البعض، والمدينة والحكومة أو السلطات الحاكمة، بالإضافة إلى الحقوق والامتيازات التي تقع على عاتق مدراء المدينة أو الحكومة أو السلطات الحاكمة بشكل عام. وبحسب تعاليم نهج البلاغة، فإن حقوق الحاكم أو الحكومة والمواطنين متبادلة. في دستور جمهورية إيران الإسلامية، تم ذكر حقوق الشعب في ٢٣ أصلاً، حيث ينظر المشرع في حقوق المواطنة. تنقسم هذه الحقوق إلى ثلاث فئات: الحقوق المدنية والسياسية، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والحقوق القضائية؛ حيث تمت الإشارة إلى أهم الأمثلة عليها بالاستناد إلى أقوال الإمام علي(ع) ومنها حق تقرير المصير والحرية السياسية والولاء للحاكم كأمثلة على الحقوق المدنية والسياسية وتطبيق العدالة والتنوير والاهتمام بالتعليم كأمثلة على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. أما في مجال الحقوق القضائية، فيجب على الحاكم إنشاء محاكم سليمة لإنفاذ حقوق المواطنين واتخاذ الإجراءات اللازمة لإقامة الحدود الإلهية. يمكن أن يؤدي احترام الحقوق المدنية إلى حفظ كرامة وسلطة الحكومة الإسلامية، وإقامة العدل في المجتمع وغيرها، وعدم احترام هذه الحقوق يمكن أن يكون له آثار ضارة.

رضا طاهرى كدخدا وسينا قلفى(١٤٠١) في مقال «مكانة حقوق المواطنة في نهج البلاغه» الفصلية الدولية قانون يار، المجلد السادس، العدد ٢٤، قد تناولا حقوق المواطنة في نهج البلاغة، وبعد أن تطرقوا بصورة مبسوطة إلى تعريف حقوق المواطنة وأهميتها، وكليات عن نهج البلاغة، طريقة حُكم الإمام علي، غرض المواطنة في نهج البلاغة، جذور حقوق المواطنة في العالم الجديد، ذكروا بصورة مصداقية ثلاثة حقوق في نهج البلاغة: حق الحياة، حق الحرية وحق المساواة.

ضرورة و أهمية البحث

في القرن الذي نعيش فيه، اِصطَبَغَت فيه الأفكار الناشئة عن النظام الرأسمالي، وقانون البقاء للأصلح للواقع مثل "الفقراء يموتون صغارا"، صبغةً برّاقة وسيطر الرأسماليون على المجتمعات الإنسانية، فالحقوق صار للرأسماليين فقط والمسؤولية للضعفاء فقط. وفي هذا العصر أصبح حق المواطنة وواجبها أداة ولعبةً في أيدي أصحاب الثروة والسلطة، الذين يفسرونها حسب الظروف والموارد. وإنّ الحكومات الدستورية، التي نشأت نتيجة صعود الطبقات الدنيا من المجتمع ضد الأنظمة الدكتاتورية والاستعمارية، والتي وصلت إلى السلطة بشعارات طموحة للمساواة والعدالة الاجتماعية، أصبحت عاملاً في زيادة الصراع الطبقي في المجتمع. ففي هذا الوضع الفوضوي، فإن عودة الإنسان المعاصر إلى سيرة الإمام علي(ع) يمكن أن تكون الحل لكثير من القضايا والمشاكل الراهنة.

أسئلة البحث

يحاول هذا البحثُ الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما هو المجتمع المدني ومَن هو المواطن وما هي حقوق المواطنين؟
- ما هي الحقوق المذكورة أكثر شيوعا وأهمية في حِكَم نهج البلاغة ورسائله؟

فرضيات البحث

تشير فرضيات هذا البحث إلى أنّ المجتمع المدني مرادف للمجتمع الإنساني الذي له حكومة وسيادة القانون. وعليه، فإن المجتمع المدني هو نفس الحكومة؛ مع الفارق أنه بهذا المعنى يتم استخدام المجتمع المدني ضد المجتمع الطبيعي. وفي هذا الفهم للمجتمع المدني، وبما أن الإنسان مخلوق ذو غريزة شهوانية، فإذا استمر في العيش دون حكم الحكومة والقانون التعاقدي، فإنه سيتعرض لتهديد شديد بالقتل والسرقة، لذلك يجب عليه تكوين مجتمع تسُود فيه القوانين وتصاغ فيه القواعد والأنظمة التعاقدية. وفي ضوء هذه الأعراف الاجتماعية، تظهر الدولة ذات السيادة، التي ستسيطر على طبيعة البشر الجامحة. والمواطن هو عضو في مجتمع سياسي له الحقوق وعليه الواجبات المتعلقة بهذه العضوية ويدل على وجود علاقة متبادلة بين الفرد والمجتمع السياسي. وبالطبع تجدر الإشارة إلى أن بعض متطلبات هذه الكلمة يكون لها معنى أقل خارج المدينة؛ لأن معظم المدن هي مكان ظهور العلاقات السياسية والاقتصادية والقانونية والثقافية المعقدة. لكن هذا لا يعني أن القرويين، أو الأشخاص الذين يعيشون خارج المدينة، لا يعتبرون مواطنين، ولكن مِن باب التغليب يُطلَق على جميع سُكّان الأرض أو البلد اسم المواطن. وفي الواقع فإن المواطن هو فرد حاضر في البنية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية للمجتمع، وفعال في صنع القرار وتشكيله. والحقوق جمع "الحق" وهو في اصطلاح علم القانون امتياز ومنفعة تعود للإنسان، تدعمه قوانين كل دولة في مجال تحقيق العدالة، وتمنحه القدرة على انتزاع الحق لمنع الآخرين من انتهاكه. لذلك فإن الحق هو خيار يعترف به القانون للإنسان ليتمكن من القيام بفعل أو تركه. واستخدام كلمة الحق بهذا المعنى له تاريخ في الشريعة الإسلامية. ولقد ورد في حِكَم نهج البلاغة ورسائله العديد من قضايا حقوق المواطنين، منها: حق التمتع من نظام الضمان الاجتماعي، حق التمتع بالرفاهية الاقتصادية، حق العدالة والمساواة، حق حرية التعبير عن الرأي وحق حرية اختيار الوظيفة، حق التمتع من الكرامة الإنسانية، حق التمتع بالأمن، حق النقد والتحلي بروح النشاط. وأنّ كل الحقوق المذكورة في حِكَم نهج البلاغة ورسائله مهمة جداً، لكن مسألة حق التمتع من نظام الضمان الاجتماعي، حق التمتع بالرفاهية الاقتصادية، حق التمتع من الكرامة الإنسانية وحق التمتع بالأمن أكثر أهمية.

الأسس النظرية للبحث

مفهوم المجتمع المدني؛ نشأته وتاريخه

المجتمع المدني هو مجموعة من الأشخاص الذين يشكلون بإرادتهم وبشكل مستقل عن الحكومة، مجموعات وجمعيات ذات توجهات شعبية، والغرض من إنشائها هو تعزيز مصالح واحتياجات أعضائها.(واعظي، ١٣٧٨: ٣٧). هناك اختلافات كثيرة فيما يتعلق بعُمرِ المجتمع المدني، والاستخدام الأول لهذا المصطلح والتطورات التي حدثت عبر التاريخ. ويُرجِعُ البعض تاريخ مفهوم هذا المصطلح إلى زمن سيدنا نوح(ع).(المصدر نفسه: ٩).

وقد قَدّرَ البعضُ الآخرُ عُمرَ هذا النوع من المجتمعات ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، ويعتقد أن المجتمعات الأولى بين السومريين في بلاد ما بين النهرين قد تحققت مع ظهور "دول المدن". ويعتبر البعض الآخر أن أفلاطون هو أول من ذكر المجتمع المدني وأطلق على مدينته الفاضلة اسم «المجتمع المدني». كما ينسب فريق هذا الاختراع إلى أرسطو. وفي مقابل هذه النظريات، يرى فريق آخر أن المجتمع المدني هو نتاج العالم الحديث بعد القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ويعتقد أن هذا الموضوع ليس له تاريخ بين الحضارات الشرقية والغربية القديمة.(معصومي والآخرون، ١٣٧٨: ٣٩).

وفي كل الأحوال، فإن التاريخ الدقيق لميلاد الديمقراطية الليبرالية أو المجتمع المدني ليس معروفًا على وجه التحديد؛ لكن يمكن اعتبار القرن الثامن عشر فترة مهمة في ظهور المجتمع المدني والحكومات الديمقراطية. في القرن الثامن عشر، اقتَرَحَت وجهةُ

نظر «غيتي غرا=الانتماء العالَمي» و«لائيک» عالميةَ حقوق الإنسان. لقد دخل حقوق الإنسان عالمَ السياسة مع الثورة الفرنسية، واكتسب مفهوم المواطنة وما يرتبط بها من حقوق ومسؤوليات، أهمية خاصة.(بير نظر، ١٣٧٩: ٢١).

المجتمع المدني، المرادف للمجتمع البشري

ويعتبر البعض أن المجتمع المدني مرادف للمجتمع الإنساني الذي له حكومة وسيادة القانون. وعليه فإن المجتمع المدني هو نفس الحكومة؛ مع الفارق أنه بهذا المعنى يتم استخدام المجتمع المدني ضد المجتمع الطبيعي. وفي هذا الفهم للمجتمع المدني، وبما أن الإنسان مخلوق ذو غريزة شهوانية، فإذا استمر في العيش دون حكم الحكومة والقانون التعاقدي، فإنه سيتعرض لتهديد شديد بالقتل والسرقة، لذلك يجب عليه تكوين مجتمع تسُود فيه القوانين وتصاغ فيه القواعد والأنظمة التعاقدية. وفي ضوء هذه الأعراف الاجتماعية، تظهر الدولة ذات السيادة، التي ستسيطر على طبيعة البشر الجامحة.(المصدر نفسه: ٢٠-١٨ والمصدر نفسه: ٩٨).

المجتمع المدني، المرادف للمجتمع المتحضِّر

المجتمع المتحضر هو أحدُ المفاهيم الأخرى التي وجدها المجتمع المدني في تطوره المفاهيمي. وأول من طرح هذا المعنى للمجتمع المدني هو "آدم فيرغوسون" الذي يرى أن المجتمع المتحضر هو عكس المجتمع البدائي. "فيرغسون" في كتابه "خطاب حول تاريخ المجتمع المدني" يسمّي الحكومات الغربية متحضرة ومدنية وذلک بسبب اهتمامها بالملكية الخاصة والحريات الفردية، ويعتبر المجتمعات الشرقية "مجتمعات بربرية وبدائية" نظرا لبقائه في الملكية المشتركة والملكية المطلقة للملوك والحكام. ويعتقد أن المجتمعات الغربية هي مجتمعات مدنية. ولا فرق بين مفهوم المجتمع المدني والدولة في هذا التفسير، لأن المدنية والحضارة المعاصرة للغرب هي مفهوم المجتمع المدني ومصداق له.(المصدر نفسه: ٩٩ والمصدر نفسه: ٢٥-٢٤).

المجتمع المدني؛ المؤسسة الوسيطة بين الأسرة والحكومة

ومن هذا المنظور فإن المجتمع المدني هو مجموعة من الأشخاص الذين يشكلون جماعات ومؤسسات ومنظمات وجمعيات بإرادتهم ودون تدخل الحكومة. ووفقاً لهذا الرأي، فإن مؤسسات المجتمع المدني هي في الواقع منظمات غير حكومية، يمكن أن تظهر على شكل جمعيات، ونوادي، واتحادات، ونقابات، وأحزاب، ومؤسسات ثقافية، ومنظمات غير حكومية.

لقد أدرك مفكروا القرن التاسع عشر أن الدول الحداثية التي بُنِيَت على أساس الديمقراطية، كانت أقوى بكثير مما كان متوقعا؛ ولهذا السبب طالبوا بتقليص سلطة الحكومة في المجتمع المدني. ويَعتبرُ "دوتوكفيل" المؤسسات والمنظمات غير الحكومية التي تدير شؤون الناس طواعية، أهمَّ وسيلة للسيطرة على سلطة الحكومة. كان نموذجه للمجتمع المدني يعتمد على نشاط المنظمات غير الحكومية وتوسيع وظيفة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع؛ وكان يعتقد أن هذه المؤسسات والمنظمات تضمن العلاقة بين المجتمع والحكومة(مولانا، ١٣٨٢: ٨٩-٨٧).

وبحسب موقف "دوتوكفيل"، فإن هذه المؤسسات، من ناحية، تنظِّم رغبات ووجهات نظر أعضائها؛ ومن ناحية أخرى، فإنها تعكس هذه الرغبات والآراء للنظام السياسي الحاكم والمجتمع، وذلک بقصد المشاركة الفعالة في صنع القرار الاجتماعي والسياسي. فمن ناحية تمنع هذه التنظيماتُ تجاوزاتِ أعضائها فيما يتعلق بالمطالب غير المعقولة، ومن ناحية أخرى تمنع احتكار السلطة في أيد طبقة أو فئة معينة، وتمنع الاستبداد وتُحِلُّ المنافسةَ الصحيةَ والقانونيةَ في المجتمع محلَّ المنافسة السياسية والنقابية غير الصحية.(معرفت، ١٣٧٨: ٢٠-١٩).

مفهوم المجتمع الديني

يرى مجموعة من الخبراء في مجال القضايا الاجتماعية أن الدين والمجتمع فئتان منفصلتان يمكن أن تتعايشا بسلام. ومن الواضح أنه مع ظهور المجتمعات البشرية الأولى، دخل الدين أيضاً إلى الميدان، وكانت عبادة الطواطم والأصنام والأشجار والقمر والشمس والنجوم وغيرها إحدى طرق تواصل البشر مع بعضهم البعض ومع ماوراء الطبيعة. وبحسب آراء المسلمين، إن الله لكي يهدي البشرية نحو السعادة والكمال، أرسل الأنبياء ليهدوا الناس بالإنذار والتبشير، ويعلّموهم الكتاب والحكمة، وإقامة القسط والعدالة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. إنّ هذه الميول الدينية المبكرة، والشرك وعبادة الأصنام لدى القبائل الأولى، تسبّبت في أن تكون السلوكيات الفردية والاجتماعية والمؤسسات والأدوار والطبقات الاجتماعية في ذلك الوقت، مستمدة من الدين، ولقرون عديدة، كان الدين هو الجانب الأكثر أهمية في الحياة الاجتماعية للإنسان، إلى أن أصبح أكثر من نصف العالم تحت سيطرة دين واحد وأتباعه، أي المسلمين، ودار أهم الحروب في تاريخ البشرية بين أتباع الإسلام والمسيحية.

ما هو مصطلح "المجتمع الديني" وماذا يعني كونه دينياً؟ فهل يمكن أن تسمى كل جماعة دينية مجتمعا مدنيا؟ وهل وجود الجماعة الدينية يكفي لتحقيق المجتمع الديني؟ أم أننا بحاجة إلى أكثر من جماعة متدينة لتحقيق المجتمع الديني؟ فكما يفرّق علماء الاجتماع بين مفهومي "الجمع" و"المجتمع"، هناك أيضا فرق بين مفهومي "الجماعة المتدينة" و"المجتمع الديني".

المجتمع الإنساني هو المجتمع الذي تربطه علاقات اجتماعية متبادلة مع بعضها البعض في بيئة مشتركة. "العلاقات الاجتماعية المتبادلة" هي الركن الأساسي لتحقيق المجتمع، وبدونها لا يتكون المجتمع الإنساني. العلاقات الاجتماعية هي نتيجة السلوك الاجتماعي للأشخاص، والسلوك الاجتماعي هو العمل الإرادي والطوعي الذي يقوم به الشخص تجاه أشخاص آخرين لتحقيق هدف معيّن. ومن تركيب السلوكيات الاجتماعية المتبادلة تنشأ شبكة واسعة ومعقّدة من العلاقات الاجتماعية، وعليه فإن مجرد وجود جماعة دينية لا يعني تكوين مجتمع ديني؛ لكن عندما تتكون شبكة من العلاقات الاجتماعية المستقرة بين أفراد المجتمع الإنساني، عندها يتكون المجتمع الإنساني.

وعلى هذا، فإنّ المجتمع الديني هو أيضاً مجتمع إنساني، وفيه كل مقوّمات وعناصر المجتمع الإنساني، والسمة الوحيدة التي تميزه عن غيره من المجتمعات الإنسانية هي صفته الدينية. وهذه السمة "التدينية" للمجتمع ترتبط بعنصر "العلاقات الاجتماعية" أكثر من ارتباطها بعنصر "الإنسان". لذلك، إذا نظرنا إلى المجتمع بمعناه العلمي والمصطلحي الدقيق، يتبيّن لنا أن الذي يميّز المجتمع الديني عن غيره من المجتمعات هو محتوى علاقاته الاجتماعية، وليس الخصائص الفردية لأعضائه.

الحقوق

المعنى اللغوي للحقوق

كلمة "حقوق" هي جمع "حق" ولها عدة معانٍ في اللغة، منها: المطابقة، الموافق للواقع، الموجود الثابت، الصدق، الدليل، خلاف الباطل، العدالة، اليقين الذي لا يقبل الإنكار، اللائق، المال، المِلك والسلطة، الحض والنصيب، الأمر الذي قُضِي، الحزم والموت(جوهري، ١٤٠٧هـ، ج٤: ١٤٦٠). ومن الواضح أنه من الناحية المعجمية، فقد تم استخدام عدة معانٍ لكلمة "الحق". لكن من بين المعاني السابقة فإن معاني "الموافق للواقع" و"الملك" و"الدليل" وأيضاً "الثابت" لها تردُّدٌ أكثر(غرجي، ١٣٧٦، ج ١: ٢٧٩).

المعنى الاصطلاحي للحقوق

"الحق" في اصطلاح علم القانون هو امتياز ومنفعة تعود للإنسان، تدعمه قوانين كل دولة في مجال تحقيق العدالة، وتمنحه القدرة على انتزاع الحق لمنع الآخرين من انتهاكه. تُستخدم كلمة "الحق" عادةً لتعني فردياً أو شخصياً، على عكس الحقوق التي تعني القواعد.(كاتوزيان، ١٣٧٧: ٣٧٠ و٣٧٢). لذلك فإن الحق هو خيار يعترف به القانون للإنسان ليتمكن من القيام بفعل أو تركه؛ وكما يقال حق الملكية هو حق الحيازة. واستخدام كلمة الحق بهذا المعنى له تاريخ في الشريعة الإسلامية(إمامي، ١٣٤٢، ج٢: ٢)

المعنى اللغوى والاصطلاحى للمواطن

وفي قاموس دهخدا تعني [المواطن= شهروند] "ساكن مدينة أو بلد" ويضيف: إنّ لاحقة «وند» في هذه الكلمة كانت في الماضي «بند» و في الحقيقة كانت هذه الكلمة «شهربند»(بمعني الشخص الذي هو مقيمٌ بمدينة) ومع مرور الزمن تحوّل «بند» إلى «وند»(دهخدا، ١٣٤٧، ذيل مادة المواطن) وفي الاصطلاح، المواطن هو عضو في مجتمع سياسي له الحقوق وعليه الواجبات المتعلقة بهذه العضوية ويدل على وجود علاقة متبادلة بين الفرد والمجتمع السياسي. وبالطبع تجدر الإشارة إلى أن بعض متطلبات هذه الكلمة يكون لها معنى أقل خارج المدينة؛ لأن معظم المدن هي مكان ظهور العلاقات السياسية والاقتصادية

والقانونية والثقافية المعقدة. لكن هذا لا يعني أن القرويين، أو الأشخاص الذين يعيشون خارج المدينة، لا يُعتَبَرون مواطنين، ولكن مِن باب التغليب يُطلَق على جميع سكان الأرض أو البلد اسم المواطن. وفي الواقع فإن المواطن هو فرد حاضر في البنية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية للمجتمع، وفعال في صُنع القرار وتشكيله.

حقوق المواطنة في حِكَم الإمام علي(ع) ورسائله

إن حكومة أمير المؤمنين(ع) كانت في الواقع مظهراً من مظاهر الحكم الإسلامي، ويمكن القول بأنه مرآةٌ تنعكس الإسلام كله. وخلال فترة الوحي التي دامت ٢٣ سنة كاملة، تعلَّم علمَ إدارة المجتمع من القرآن وسنة نبي الإسلام، كما اكتسب بعد النبي(ص) خبرة وفيرة وتقنيات إدارية متنوعة من الأحداث. بعد تلك الفترة الطويلة من التعلم، يريد الآن أن يحكم المجتمع بطريقة قانونية؛ بحيث يتمتع جميع أعضائه بحقوقهم ولا يُضطَهَدُ أحد. لقد أراد أن تتحرر جماهير المجتمع تدريجياً من تأثير الثقافة القبلية والجاهلية، وعلى هذا الأساس أدرك أن المدينة المنورة لم تعد لديها القدرة على قبول آرائه التقدمية. ولهذا السبب ذهب إلى الكوفة ليؤسس المدينة الفاضلة المنشودة في تلك المدينة المتعددة الثقافات والقوميات.

حق التمتع بنظام الضمان الاجتماعي

وفقا للمعايير والمبادئ الإسلامية، فإن الشخص الذي جاهد في سبيل إقامة نظام وعمل منظم، والذي خدم وطنه وجعله يزدهر ويفتخر، له الحق في التقاعد، ووفقا للقانون أو العرف الشائع، ينبغي احترامه ورعايته مادياً ورعاية مَن حوله.

وروي أن رجلاً عجوزاً أعمى كان يَتَسَوَّلُ، فقال الإمام علي(ع): مَن هذا الرجل؟ قالوا: يا أمير المؤمنين(ع)، هذا رجل نصراني، قال الإمام: لقد استخدموه واستعملوه كثيراً في الماضي حتى كَبُرَ وعَجُزَ، والآن لا تعطونه شيئاً؟! سدِّدوا نفقته من بيت مال المسلمين. وهذا هو فكر الإمام في الرسالة التي يكتبها إلى مالك الأشتر: (فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)(قرباني والآخرون، ١٣٩٠: ٤٧)

من أجل توفير الخدمات الاجتماعية للمواطنين والسعي لازدهار البلاد، يتصرف الإمام علي(ع) كحاكم قضائي ويرعى شؤونهم، يقول ذلك في رسالة كتبها إلى مالك الأشتر: (هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا)(رسالة ٥٣).

كما يُذَكِّرُ مالكَ الأشتر في مجال توفير الرفاهية للمواطنين ويقول: «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الاَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ، لاَنَّ ذَلِکَ لاَ يُدْرَکُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَکَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً»(المصدر نفسه). كما يقول أيضا: «وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْکَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَکَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَکَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَکَ وَأَعْوَانَکَ مِنْ أَحْرَاسِکَ وَشُرَطِکَ؛ حَتَّى يُکَلِّمَکَ مُتَکَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِع، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ(ص) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِن: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِع». ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالاَنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْکَ بِذَلِکَ أَکْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَکَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَال وَإِعْذَار»(المصدر نفسه).

حق التمتع بالرفاهية والاقتصاد

يأمر الإمام(ع) كثيراً فيما يتعلق بالقضايا الاقتصادية وتحقيق الرفاهية في المجتمع، ويعتبر أداء الحقوق المالية الواجبة التي جعل الله ضرورية للأغنياء سداً لحاجة الفقراء، ويقول: «ولمكافحة الفقر وتلبية الاحتياجات الاقتصادية لجميع أفراد المجتمع، يكفي أن يقوم الأغنياء بدفع حقوقهم المالية»(ديرباز، ١٣٨٠: ٩٥-٩٦) يقول الإمام في إحدى حِكَمِه: (إنّ اللهَ سبحانَهُ فَرَضَ في أموالِ الأغنياءِ أقواتَ الفُقَراءِ، فما جاعَ فَقيرٌ إلّا بما مُتِّعَ بهِ غَني، واللهُ تعالى سائلُهُم عن ذلک)(حكمة ٣٢٨).

ويتحدث عن واجب الحكومة الإسلامية في توفير احتياجات المواطنين ودخلهم: «مَا أَصْبَحَ بِالْكُوفَةِ أَحَدٌ إِلاَّ نَاعِماً إِنَّ أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً لَيَأْكُلُ الْبُرَّ وَيَجْلِسُ فِي اَلظِّلِّ وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءِ اَلْفُرَاتِ»(المجلسي، ١٩٨٣، ج٤٠: ٣٢٧). ووفقا له، فإنّ من

الحقوق الأساسية للشعب هو التمتع بالعدالة الاقتصادية، مما يؤدي إلى التوزيع العادل للدخل بين الطبقات الاجتماعية وضمان رفاهيتها وراحتها.

حق العدالة والمساواة

يُعَدُّ العدلُ والمساواة أحدَ الجوانب الدائمة والإيجابية لحاجات الإنسان، ومن أجل تحقيق هذا الهدف تَشَكَّلَت حركاتٌ وثوراتٌ وأيديولوجيات وحتى أديان مختلفة وبَذَلَتِ الكثير من الجهد لتحقيقه. إنَّ اهتمام أمير المؤمنين بالعدالة اهتمامٌ عظيم جداً، وأفعاله مليئة بالعدل والإنصاف حتى أنه لُقِّبَ بـ "شهيد العدالة". وكان هذا الأمر مهماً بالنسبة له لدرجة أنه اِعتَبَرَ العدالةَ أساس حكومته واعتبرها موقعاً مهماً في تنظيم علاقات القوة وكان يؤمن بالحق كمبدأ أساسي في الحياة الاجتماعية، وكان يعتقد أنّ"الملكَ يبقَي مع الكفر ولايبقي مع الظلم". إن سلوك الإمام علي(ع) في الالتزام بالعدالة والمساواة أمر مثير للإعجاب. فكان يسعى حضرته إلى تحقيق العدالة؛ ليس من خلال تقييد الشعب وإغلاق المجال السياسي والفكر الشمولي والاستبدادي، ولكن من خلال تعميق الوعي النقدي والمشاركة والإشراف على الناس وتأثيرهم في بناء السلطة كحق عام.

ومن أهم الوثائق التاريخية المتعلقة بمأسسة مفهوم المساواة والعدالة الاجتماعية هو رسالة الإمام علي إلى مالك الأشتر. وتشمل هذه الوثيقة وحدها كافة جوانب الكرامة والحرية، والإدارية، والاقتصادية، والسياسية، والنقدية، والتشاورية، والضريبية، والديمقراطية، وجميع قضايا المواطنة. ويؤكد الإمامُ أنه لولا إقامة العدل، لكنتُ تركتُ مجال السلطة والحكم لوحده، حتى ترى أن الحكومة ليس لها قيمة بالنسبة لي. هكذا يفكر الإمام في التأكيد على حقوق الأقليات: «فالمواطنة لا يتشكل على أساس الدم واللغة والتربة وغيرها من العناصر المادية. المواطنة مفهوم قانوني يعتمد على إرادة الأفراد ورأيهم. وبقبول الإسلام يصبح كل إنسان مواطناً في المجتمع الإسلامي. كما يمكن أن تتم مواطنة الأقليات الدينية والعرقية بشروط خاصة وباتفاق ثنائي وبطريقة تعاقدية، وهو ما يسميه الإسلام "ذمة". ويمكن رؤية أمثلة على ذلك في بداية الإسلام من خلال المعاهدات التي أُبرِمَت مع اليهود والمسيحيين في المدينة المنورة»(عميد زنجاني، ١٣٨٠: ١٣٨) ويقول الإمام في بيان "فضل العدل على العفو": (الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَواضِعَها، وَالْجُودُ يُخْرِجُها مِنْ جِهَتِها. وَالْعَدْلُ سائِسٌ عامٌّ، وَالْجُودُ عارِضٌ خاصٌّ)(حكمة ٤٣٧)

حق حرية التعبير عن الرأي وحرية اختيار الوظيفة

هناك اختلافات كثيرة في الرأي حول تعريف الحرية وطبيعتها. لكن باختصار يمكن اعتبار الحرية نوعاً من الاستقلال وضبط النفس في مختلف جوانب حياة الإنسان، وهو ما يجب أن يصاحبه الوعي، وإلا تحولت الحرية إلى شهوة ومشكلة حيوانية. وتكمن أهمية الحرية في أن الصفات الإنسانية الخالصة ونمو المجتمع ووعيه وتقدمه لا يمكن أن يتم إلا في ضوئها.

ومن خلال دراسة تاريخ بداية الإسلام يتجلى بوضوح اهتمام الإمام بموضوع "الحرية". وفي الوقت الذي لم تكن الظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية مهيأة بَعدُ لقبول الحرية، أكد في كلامه وسلوكه على الحرية وحرية التعبير واحترام الحرية، وعمل عَلَى خَلقِ الثقافة وإنشاء البنية التحتية الاجتماعية لمأسسة الحرية. وتَحَدَّثَ عن حرية الإنسان وإنكار العبودية، فكتب في رسالة موجهة إلى ابنه الإمام الحسن المجتبي(ع): «وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُرّاً»(رسالة ٣١)

وبشكل عام، فقد وفّر الإمام علي(ع) البنية التحتية للحرية السياسية والاجتماعية في مجتمعه بعبارات مثل: " أيُّها الناسُ، إنّ آدمَ لَم يَلِدْ عَبداً ولا أمَةً، وإنّ النّاسَ كلُّهُم أحْرارٌ ". إنّ تَعامُلَ الإمام(ع) مع الخوارج وإهانتهم وهم أحرارٌ تماما في المجتمع الإسلامي، وتَرْكَ طلحةَ والزبيرَ حُرَّينِ في السفر للعمرة وهو على علم بمكيدتهم، أو حريةَ مَن رفض البيعة، أو مَن حالوا دون استمرار حرب صفين، و... دلائل واضحة على اهتمام الإمام بحرية التعبير، ومظاهر واضحة لحرية الرأي للمواطنين في حكومته. كما أنّ حرية الانتقاد منه هي إحدى السمات المميزة لحكمه، الذي ليس له تاريخ سوى في عدد قليل جداً من الحكومات. لقد آمن بهذا الأمر من أعماق قلبه؛ وأنكر النفاق والتملق وحاربهما، فكتب إلى مالك الأشتر في هذا الشأن: (ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ).(رسالة ٥٣)

إنّ فكرة "الحرية" هي من المبادئ الأساسية التي أكد عليها الإمام(ع) كثيراً. الحرية تعني امتلاك "الخيار والاختيار" وتشمل

الحريات الفردية والعامة والاجتماعية للمواطنين. قال في رسالة إلى الإمام الحسن(ع): (لا تَكُن عبدَ غيرِكَ وقَد جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً)(رسالة ٣١)

الإمام مع التركيز على المبدأ الإسلامي: «لَا إِكرَاهَ فِي الدِّينِ» أصدر هذا التوجيه: «إِنِّي لا أُحِبُّ أَن أُكرِهَ أَحَداً عَلَى مَا يَكرَهُ». وهذا دليل على احترامه لحرية الفكر والرأي للمواطنين(عميد زنجاني،١٣٨٠: ٩٥-٩٨)

وتشهد حكومته كافة أنواع الحريات الاجتماعية والسياسية. بحيث كانت الديانات الأخرى حرة في القيام بواجباتها الدينية. كما أن الشعوب الأخرى كانت لها حقوق متساوية مع المسلمين، وحتى دياتهم وضرائبهم كانت متساوية. يقول الإمام في موضع آخر: (وَلَا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ،... وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ وَلَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهَدٍ...)(رسالة ٥١).

حق النقد والتحلي بروح النشاط

إن تنمية التفكير النقدي من ضرورات الحياة في المجتمع المدني المعاصر؛ لأن وجود التفكير المنطقي وتنميته يؤدي إلى خلق المعرفة وتنمية المهارات الفكرية وتنمية روح التسامح. يقول الإمام في هذا: (أَكبَرُ العَيبِ أَن تَعيبَ ما فيک مِثلُهُ)(حكمة ٣٥٣) ويشيد بروح النقد والتحذير ويقول: «مَنْ حَذَّرَکَ کَمَنْ بَشَّرَکَ »(حكمة ٥٩)،(مظفري، ١٣٨٥: ١٦ – ١٩)

اتخذ الإمام(ع) إجراءات فريدة من نوعها في التأكيد على كفاءة المنظمات والحكومة الديمقراطية وضمان عدم ظلم أحد. ومن بين هذه الأمور، طلب من الناس انتقاده، وفي ظل هذا النقد، كانت إحدى مبادراته إنشاء "بيت العدل"، الذي يُفسر اليوم بـ "محكمة العدل الإدارية". وخصص مركزاً للناس لتلقي شكاواهم من النظام للتعرف على مشاكل الناس عن قرب.

حق التمتع بالكرامة الإنسانية

الكرامة الإنسانية هي هبة إلهية للمجتمع البشري. وهذه الكرامة الأولية هي فوق الصفات المعتادة من العظمة والأصالة الأسروية التي يراها الناس. هذه العظمة لا ترتبط بجنس أو دين أو مذهب أو عرق أو ثقافة. ومظاهر هذه الكرامة تتجلى في كلام الامام علي(ع) وسيرته بصُوَرٍ مختلفة. فـ"الإنسان" باعتباره أعلى المخلوقات، له خصائص وسمات تميزه عن سائر الكائنات. إنّ الكرامة والشرف المتأصلين في الإنسان هي هبة إلهية لهذا المخلوق المميَّز، والتي تتجلى في شكله الخارجي، وقوته العقلية والتفكيرية، وامتلاكه الإرادة والسلطة، واختياره الخيرَ من الشر، الخ...

وامتلاك هذه الصفات جعل الإنسان جديراً بالتكريم والاحترام. فهو باختياره يستطيع أن يواصل طريق العظمة والعز ويصل إلى قمته، أو باختياره يستطيع أن يواصل طريق الدناءة وأن يجلب الذل في الدنيا والآخرة. إنّ موضوعَ "كرامة الإنسان" قد نوقشت في القرآن وكلام النبي وسيرته وسنة المعصومين(ع). أولئك الذين هم المظهر الكامل للكمال والكرامة والشرف.

كرامة الإنسان

وكلمة الـ"كرامة" مشتقة من جذر الـ"كَرَم" وتدل على عزة الشيء وشرفه ونفاسته(رضا، ١٩٦٠، ٥ج: ٥٥) هذه الكلمة ضد لكلمتي الـ«هوان» والـ«لؤم»؛ وهما تعنيان الخسة والذل والحقارة والصغار.(ابن دريد الأزدى، ١٩٨٧، ج٣: ٩٩٦). يقول الله تبارک وتعالى: (وَمَنْ يهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ)(الحج: ١٨).

إن الإنسان باعتباره أعلى المخلوقات الإلهية له كرامة خاصة مقارنةً بسائر المخلوقات. وقد قال تعالى في شرف هذا المخلوق وفضله: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)(الإسراء: ٧٠)

ومظهر كرامة الإنسان هو أنه يتمتع بالروح الإلهية: (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)(الحجر: ٢٩) وبهذه الفضائل وصل الإنسان إلى مرتبة الخلافة الإلهية، واحتل مرتبة الصدارة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّکَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]

ومن مظاهر إكرام الله للإنسان أنه أعطاه عظمة على غيره، وأوصله إلى مقام العلم والمعرفة الإلهية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] المقام الذي حتى الملائكة يفتقرون إليه.

وبسبب هذه السمات والصفات، سجد الملائكة أمام الإنسان: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]

الإمام علي(ع) وتكريم العظمة المتأصلة في الإنسان

من وجهة نظر الإمام علي(ع) الإنسان كائن حرٌّ لا يدخل في نير أحدٍ ولا يقبل أي نوع من الذل. فلا يليق بإنسان أن يتصرف هكذا أمام أحد، ولا يجوز له أن يعتبر إنساناً مثله سيداً لنفسه..«لا تَكُن عَبدَ غَيرِكَ وَقَد جَعَلَكَ اللهُ حُرّا»(رسالة ٣١). إنّ البشر جميعهم من آدم(ع) ولهم الحق أن يعيشوا بكرامة وحرية. هذه الحرية متواجدة في جذور الوجود الإنساني ولا يستطيع أحد أن يزيلها. حتى الإنسان نفسه ليس له الحق في إذلال نفسه والتقليل منها. وينبغي للإنسان أن يحتفظ بهذا الامتياز الإلهي وألا ينحني أمام بني نوعه من البشر. قال السيد الرضي في نهج البلاغة: عندما وصل الإمام(ع) إلى مدينة الأنبار– وهو في طريقه إلى الشام – ركض شيوخ الأنبار(مع الناس) أمام مركب الإمام(ع) و هكذا قاموا –بزعمهم– بتكريم الإمام علي(ع). وقد نهاهم الإمام علي(ع) عن ذلک وأبدى استياءه من هذه الممارسة: «وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينُ الْأَنْبَارِ فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَاشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ(ع): مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فَقَالُوا خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا. فَقَالَ وَاللَّهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي [أُخْرَاكُمْ] آخِرَتِكُمْ؛ وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ».(حكمة ٣٧)

وكان الإمام(ع) يحترم أعراض المؤمنين لدرجة أنه كان لا يحب مرافقة المشاة أمام وخلف فرسه. فعندما كان عائداً من صفين وصل إلى قبيلة "شبام". وكان "حرب بن شرحبيل الشبامي" مرافقا للإمام وكان الامام(ع) راكبا وهو يمشي على رجليه. فقال له الإمام: «ارْجِعْ، فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ»(حكمة ٣٢٢)

تكريم المكانة الإنسانية

إنّ تكريم هذه المكانة الخاصة المستمدة من إنسانية الإنسان، توجد بكثرة وبوفرة في خطاب الإمام علي(ع) وسيرته. وفي هذا المجال، لم يلاحظ الإمامُ "الجنسَ والدينَ والفضائلَ الإنسانيةَ الأخرى".

إن تكريم مكانة الإنسان واضح جداً في رسالة الإمام علي(ع) إلى مالك الأشتر حيث يقول: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»(رسالة ٥٣).

لذلك فإن جميع البشر يستحقون التكريم والاحترام والحب والرحمة؛ لأن صفة "نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ" تشملهم. وقد وردت أمثلة كثيرة على تكريم الناس، وخاصة الفقراء والمساكين، في رسالة الإمام إلى مالك الأشتر بصفته والي مصر. ففي الرسالة ٥٣ من نهج البلاغة يوجد حوالي ٣٠ إشارة إلى "الناس"، "الرعية"، "كلّ امرء" وغير ذلك.

كرامة ذوي الدخل المحدود

إن تكريم الإنسان له علاقة بالروح الإنسانية التي تسري في وجود الإنسان، وأنّ الوضع والمكانة الاجتماعية، وتراكم الثروة وامتلاك قاعدة مالية، والشرف النسبي، وما إلى ذلك، لا يتسبب أي منها من منظار الإمام على(ع) في تجاهل الشخصية الإنسانية للآخرين.

ومن هذا المنطلق، فإن احترام كرامة الأشخاص الذين لا يتمتعون ببعض سمات الاحترام التقليدي يصبح في غاية الأهمية. وخطاب الإمام علي(ع) في المساكين والطبقات الدنيا من المجتمع مهم من هذا المنطلق. جاء ذلك في الرسالة ٥٣ من نهج البلاغة: «... ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَکَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِکِ، وَقِسْماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإِسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَد، فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ؛ وَلاَ يَشْغَلَنَّکَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإِنَّکَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِکَ التَّافِهَ لأَحْكَامِکَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ. فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّکَ عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّکَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْکَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ؛ فَفَرِّغْ لأُولَئِکَ ثِقَتَکَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْکَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإِعْذَارِ إِلَى اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الأَنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ. وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ... وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِکَ عَلَى الْوُلاَةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ; وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى

أَقْوَام طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَ وَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ... وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْکَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَکَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَکَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَکَ وَأَعْوَانَکَ مِنْ أَحْرَاسِکَ وَشُرَطِکَ؛ حَتَّى يُکَلِّمَکَ مُتَکَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله سلم يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ) ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالْأَنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْکَ بِذَلِکَ أَکْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَکَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ».(رسالة ٥٣)

الكرامة الشخصية

الكرامة الإنسانية هي هبة الله للإنسان وتكريمٌ لمكانته. فكما أنّ من واجب جميع الناس أن يحترموا ويكرموا عظمة المكانة الإنسانية، فإن الإنسان نفسه ملزم أيضاً باحترام هذه الكرامة الإلهية والحفاظ عليها. ومن وجهة نظر الإمام علي(ع) ينبغي تجنب أي عمل يسبب الذل والإهانة للنفس البشرية والإنسان. يقول الإمام في هذا الصدد: «أَكْرِمْ نَفْسَکَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْکَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّکَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِکَ عِوَضاً؛ وَلَا تَکُنْ عَبْدَ غَيْرِکَ وَقَدْ جَعَلَکَ اللَّهُ حُرّاً»(رسالة ٣١). ومن ناحية أخرى، فإن الكرامة الإنسانية تقتضي ألا يفتح الإنسان مائدة قلبه لأحد، حتى لا ينجرّ ذلک إلى إذلاله. ويحرم إذلال الإنسان حتى بواسطة الإنسان نفسه.

«أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ ضُرَّهُ وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ»؛(حكمة ٢) تشتمل هذه الحكمة الغالية على ثلاثة بنود: الأوّل في الطمع: «أزرى بنفسه»، أي حقّرها وقصّر بها. «استشعر الطمع»، أي جعله شعاره أي لازمه. وفي الحديث: (عَلَيْكَ بِالْإِيَاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَإِنَّهُ الْغِنَى، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ، فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ).(أبو زيد، ١٤١٤هـ: ٥٠٤) ويقول الإمام في هذا الموضوع: «أكثرُ مَصَارِعِ العُقُولِ تَحتَ بُرُوقِ المطَامِعِ»(حكمة ٢١٩) والبند الثاني في الشكوى: «من كشف ضرّه»، أي شكى إلى الآخرين بؤسه وفقره؛ لأنّ الآخر إن كان عدوّاً سَرَّهُ، وإن كان صديقا ساءه، و ليست مسرّة العدوّ ولا مساءة الصديق بمحمودة. والبند الثالث في حفظ اللسان، و قد ورد فيه ما لا يحصى منها: سلامة الإنسان في حفظ اللسان، ومنها: ربّ كلمة سفكت دماً، و أورثت ندماً. لا ينبغي أن يكون تصرف الإنسان وسلوكه ذات صبغة ازدرائية. وقد سبق أن نقلنا كلام الإمام علي(ع) مع حرب بن شرحبيل الشبامي وهو يمشي على قدميه أمام مركب الإمام.(الحكمة ٣٣٢) إنّ رفضَ الإنسان للضيم والهوان في جميع الأحوال، هو مظهر من الكرامة التي وهبها الله له وأثنى عليها جميع النبلاء.

كرامة الإنسان في موقف القضاء

ومن أهم مظاهر احترام كرامة الإنسان وشخصيته هو موقف المساءلة والمحاكمة والقضاء. فمن الطبيعي أن يخطئ أحد الطرفين ويقوم بفعل غير لائق؛ لأن الرجوع إلى القاضي والحَكَم يحدث في هذه المرحلة. لذلك فإن الصرامة واللامبالاة تجاه أصحاب الدعاوي ليست بعيدة عن العقل، وإن إهانة المتهم أمر شائع في مثل هذه الحالات. لذلك فإن التوصية بتكريم شخصية هؤلاء ستكون أكثر بروزا في هذه المرحلة. وقد اهتم الإمام علي(ع) بحقوق من يراجع القاضي وبيّن طريقة وآداب النظر في الملفات القضائية. وكتب في رسالته إلى محمد بن أبي بكر في بيان تكريم منزلة الإنسان في مقام القضاء والتحكيم: «وإذا أنتَ قَضَيتَ بَينَ النّاسِ فَاخفِض لَهُم جَناحَكَ، ولَيِّن لَهُم جانِبَكَ، وَابسُط لَهُم وَجهَكَ، وآسِ بَينَهُم في اللَّحظِ والنَّظَرِ، حَتّى لا يَطمَعَ العُظَماءُ في حَيفِكَ لَهُم، ولا يَأيَسَ الضُّعَفاءُ مِن عَدلِكَ عَلَيهِم»(ابن شعبة الحراني، ٢٠٠٢: ١٢٣-١٢٤).

كرامة الإنسان وتجنب المعصية

من وجهة نظر الإمام علي(ع) فإن الأخلاق الإنسانية وكرامة الإنسان تقتضي منه مراعاة المبادئ الأخلاقية واجتناب الفواحش. الخطيئة هي ذروة ظهور اتضاع الروح الإنسانية السامية، التي تتلذذ بالأشياء الوضيعة والحقيرة، وتتمرغ في طين النجاسة. يقول الإمام في هذا المجال: «مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ».(حكمة ٤٤٩) "الشهوات" جمع الـ"شهوة" والتي تعني رغبة القلب، وعادة ما تقال لأشياء غير معقولة وممتعة، أو بمعنى آخر، لها جانب متطرف وغير محمود. ومن البديهي أن

الإنسان الذي يريد أن يحافظ على شخصيته بين الناس، عليه أن يتخلى عن كثير من رغبات النفس، وبحسب الإمام(ع) أن تصبح تلك الرغبات لا قيمة لها وتافهة في نظره، لأن التناقض بين هذين الأمرين واضح.

وفي نظر عامة الناس، إنّ الأشخاص المغرورين الذين لا يفهمون شيئاً سوى بطونهم وشهواتهم، هم أناس وضيعون لا قيمة لهم، ولهذا السبب فهم مطرودون. لذلك فإن العواقب السيئة لعبادة الشهوة لا تتعلق فقط بالحياة الآخرة. وتفسير "هانت عليه شهواته" لا يعني اختفاء رغباته النفسية والشهوية، بل يعني أنها تصبح غير مهمة في نظره إلى حد تصبح وكأنها معدومة.

فالمقطع المذكور أعلاه من حكمة ٤٤٩، تفسير لكرامة الله العالية التي يقويها الإنسان ويخصبها بأفعاله وأخلاقه. كما يُعتَبَرُ أنه كلام الله تعالى الذي تدفق على لسان الامام علي(ع): ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن الناحية التربوية والنفسية، إن ارتكاب المعصية أو القيام بأعمال منافية للأخلاق، له علاقة مباشرة بنظرة الفاعل إلى شخصيته. فالإنسان النبيل الكريم هو من يعتز بشخصيته ويتجنب المعاصي والتصرفات غير اللائقة. كما أن المرأة النبيلة تتجنب التبرّج والعمل الخفيف، وتعتبر شخصيتها أسمى من أن تكون تحت تصرف الآخرين ولعبة في أيديهم.

حق التمتع بالأمن

فالأمن هو أول ما يتوقعه الناس من الحكومات، وهو أمر له أبعاد واسعة ومتنوعة. إن تأثير الأمن على الاقتصاد والثقافة والصناعة والسكان وأثره على كافة فروع التنمية والحياة الإنسانية قد أعطاه دوراً أساسياً وجعل كل فلاسفة السياسة في الماضي والحاضر يتفكرون فيه.

إنّ الفلاسفة الذين اهتموا بالعدالة، اعتبروا الأمن الاجتماعي شرطا ضروريا لتحقيق العدالة، والذين فكروا في "الرفاهية" اعتبروه العامل الأساسي للراحة، والذين اعتمدوا على التنمية السياسية أو الاقتصادية اعتبروه "عاملا" وهم كذلك اعتبروه "نتيجتها"، وكل من سعى إلى سيادة القيم الروحية يعتبره بداية هذا الواجب. من الواضح أن موضوعاً بهذا الاتساع قد أثيرت في الكلام العلوي(ع) بشكل مستفيض وبأشكال مختلفة، وأنّ تقديم تقرير كامل عنه يحتاج إلى عمل كبير ومستقل. كما أن التحليل العلمي لأقوال أمير المؤمنين(ع) في هذا الشأن، ودراسة سيرته من هذه الزاوية، عمل شاق وموسَّع خارجٌ عن نطاق هذا المقال.

قال "راغب الأصفهاني" في تعريف الأمن: « «أصل الأمن: طمأنينة النفس، وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويحمل الأمان تارةً إسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان».(الأصفهاني، ٢٠٠٩: ٩٠)

وفي الواقع إن للأمن معنى نسبي ويعتمد على الموقف والمؤشرات المرتبطة به، وهو مرادف إلى حد ما لخلق فرص استخدام القدرات وتقليل الأذى والتهديدات والمخاطر على الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والبلد، ويشمل الاستقرار والأمن الاقتصادي والقضائي والقانوني والثقافي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والعسكري. وينبغي البحث عن الأمان الشخصي في الإيمان الحقيقي، والاطمئنان وراحة البال، وذكر الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]

كما يتحقق الأمن الاجتماعي في ظل التقوى والعدالة، واحترام كرامة الإنسان وحقوقه، والدفاع عن المظلومين والمحرومين، ومواجهة الفاسدين والمجرمين، والقضاء على الفقر، وتحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير سبل العيش للناس، والحفاظ على الحريات المشروعة وسيادة القانون والعدالة، والبحث عن المعايير الإنسانية والإلهية.

وينبغي متابعة الأمن القومي في ظل سلطة الأمة الإسلامية واستقلالها وعلمها وقدراتها وارتباطاتها القوية والبناءة بجميع أبعادها وزواياها، والوقوف في وجه هجمات ومؤامرات وتهديدات الأعداء والأجانب والمتطرفين ونفوذ عملائهم. بمعنى آخر، الأمن القومي هو مزيج من الأمن الداخلي والخارجي والاجتماعي والصمود أمام التهديدات والمؤامرات والمخاطر الخارجية.

فالأمن في الثقافة القرآنية له مفهوم واسع ومتوازن وعميق ويشمل كافة جوانب الحياة والمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأمنية والداخلية والخارجية، وتربط وحدة المجتمع الإسلامي وترابطه بالقوة الداخلية للمجتمع، ويبحث الأمن القومي في الأمن الخارجي والقوة الداخلية للأمة الإسلامية ويعتبر

أن أي قلق وانعدام أمان في أحد الأبعاد، يكون فعالاً في الأبعاد الأخرى، ويعتبر أي قوة في مجال ما، بمثابة مصدر القوة والسلطة في المجالات الأخرى. يعتبر القرآن الكريم الأمن الغذائي والأمن الاقتصادي والأمن ضد التهديدات الخارجية والمؤامرات المختلفة الداخلية والخارجية من نعم الله العظيمة، ومن أجل تحقيق هذه المبادئ يؤكد على خلق الأمن العام والسلام والعبادة والروحانية. الأمن هو الوسيلة والخلفية لتحقيق الأهداف الإنسانية السامية والوصول إلى درجات القرب والكمال والاستغلال الأمثل للفرص: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤]

الأمن في الثقافة العلوية له مفهوم عميق وواسع ويغطي الأبعاد الوجودية للإنسان ويشمل الدنيا والآخرة ويقوم على الأمن الإلهي والإيمان والسلامة من عذاب الله تعالى وغضبه حتى يتمكن الإنسان من أن يكون كن مطمئناً وصاحبَ نفسٍ مطمئنة.

الأمن والنظام الداخلي

إن الأمن والنظام الاجتماعي من أهم مجالات الأمن الأساسية والحساسة ولا يمكن إنكاره لدى كل فرد ومجتمع. وفي الثقافة العلوية، تم التأكيد على مناقشة الأمن الاجتماعي وأبعاده المختلفة، كما تم التأكيد على مبادئ مثل النظام والانضباط، والأمن العام والشخصي، والأسري، والثقافي والسياسي، وسيادة القانون والنظام، ومكافحة الإرهاب والعملاء المتآمرين، وتنفيذ قوانين الحدود والديات والقصاص، ومكافحة البلطجية والجرائم وانتهاك حقوق الآخرين، وخلق بيئة اجتماعية صحية وخلق المساحة اللازمة للسلام والطمأنينة.

لقد جاء في الوصية الشريفة لحضرة أمير(ع) إلى أبنائه: «أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُم»(رسالة ٤٧)

ولو تم تنفيذ هذه الأوامر الثلاثة من هذه الوصية، سيتم بناء مجتمع إسلامي على أساس التقوى والنظام الاجتماعي والصلاح فيما بينهم وفي العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية والمؤشرات اللازمة لذلك. وستتحقق السلطة والصلاح والإصلاح والعدل والاعتدال والتقوى والتقارب والأخوة، وستتحقق أهداف الإسلام المستنيرة في مجال منع الجريمة، وتكوّنِ المجتمع الصالح، وتحققّ العدالة الاجتماعية، وزيادة الأمن العام، وتنمية مؤشرات التضامن والسعي للعدالة، والنمو الروحي والترقي، والاستقرار وحماية القيم الإسلامية والإلهية، والتأكيد على كرامة الإنسان، والحفاظ على حرية الإنسان، والحفاظ على أرواحه وأمواله وسيتم توفير الحماية للأرواح والممتلكات والأعراض للناس والأمة الإسلامية، وسيتم تأمين المجتمع الإسلامي وحمايته من الفساد.

الأمن الأسري

الأسرة هي أساس المجتمع وأحد عناصره الأساسية. وليس للإنسان هوية واضحة في المجتمع دون الانتماء إلى الأسرة. إن صحة الأسرة وسلامتها أمر ضروري وحيوي ليس فقط لأفرادها، بل لسلامة المجتمع أيضاً. وبدون الاهتمام بصحة الأسرة، لا يمكننا أن نتوقع مجتمعاً صحياً وآمناً. الأسرة تحتاج إلى الأمن لجميع أفرادها. أحد الجوانب المهمة لأمن أفراد الأسرة هو أمن كل فرد بالنسبة لبعضهم البعض. وهذا الأمن لا يتحقق فقط بعدم التعرض للأذى من قبل الأعضاء الآخرين، بل يشمل الدعم والتعاون واحترام حقوقهم المتبادلة.

وقد حدّد الإمام علي(ع) الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفراد الأسرة على النحو التالي: جاء في أحد المواضع أن واجب المرأة تجاه زوجها هو كما يلي: «الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَالْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْبَدَنِ [الصَّوْمُ] الصِّيَامُ، *وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ*». (حكمة ١٣٦)

وفي موضع آخر يعتبر الحقوق المتبادلة بين الأب والولد كما يلي: «إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقّاً، وَإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقّاً؛ فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ».(حكمة ٣٩٩)

كما أنه يُظهِرُ العلاقة الوثيقة والعاطفية بين الأب والابن على النحو التالي: «وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا

يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي [هَذَا] مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ».(رسالة ٣١)

ومن الواضح أن مثل هذا الموقف تجاه العلاقة بين أفراد الأسرة يضمن سلامتها وأمنها الكاملة وبالتالي يكون مفيداً لأمن المجتمع.

النتيجة

وبحسب ما قيل، فإنّ المجتمع المدني، وإن كان بالتعريفات المطروحة اليوم والمفاهيم المستخدمة في العصر الحالي، هو نتاج القرنين التاسع عشر والعشرين، ولم يكن موجوداً في عهد الإمام علي(ع)، ولكن دون أدنى شك، إنّ الأفكار التقدمية لذلك الرجل العظيم في مجال المجتمع ومواطني المجتمع الإسلامي تتجاوز العصر والزمان. وأنّ الأفكار القيّمة التي تركها في هذا المجال لا تتناقض مع ما قيل عن المجتمع المدني فحسب، بل ينبغي أن تكون أساساً له.

المواطن هو الشخص الذي لا يعيش فقط في مجتمع بيولوجي(مدينة) ينظُّمُ مجموعةٌ من القوانين، أنشطَتَهُ وعلاقَتَهُ مع المواطنين الآخرين ومديري المدينة وجسد المدينة، بل هو أيضاً مالك المدينة وشريك مع المواطنين الآخرين، وصانعُ القرارِ، ويجب أن يلعب دوراً فعالاً في إدارة وحياة المدينة.

إن إحدى الطرق التي يمكن أن تكون فعالة، وفقاً للإسلام والإمام علي(ع)، في تطوير حقوق المواطنة، هي خلق الشعور بالانتماء لدى جميع سكان المدينة إلى مكان واحد أو انتماء المسلمين لبعضهم البعض. إن مفاهيم مثل "الأخوة" و"الكرامة" و"الحرية" و"المشاركة" و"الحقوق والواجبات" أصبحت عديمة اللون في مجتمعات اليوم، على الرغم من تأكيد الإمام علي(ع)، وذلك بما أن القضايا المادية أصبحت ذات أهمية. وهنا يكون نوع المواطنة الذي تروّج له الديمقراطية الغربية ومنظِّروها مثل "أرسطو" و"جون لوك" و"ستيوارت ميل" و"هيغل" و"ديوي"، بعيداً عن نظيره الإسلامي. ومن خلال التأكيد على مبادئ مثل العالمية والعدالة الاجتماعية والحرية وحقوق الإنسان، يحاول الإمام علي(ع) تقريب الناس والمواطنين من بعضهم البعض وخلق شعور الانتماء إلى الوطن لجميع الناس. لأنه بصفته مديراً ومواطنا، فهو مسؤول عن تطبيق العدالة والقوانين. إن السمة المهمة لمجتمع القائم على مدار المواطن، والذي أكّد عليه الإمام علي(ع) هي الاحترام العميق للقانون والشرعية والعدالة والمساواة بين أفراد المجتمع تجاه بعضهم البعض، والقانون، وتقسيم العمل، ووجود مسؤولين جديرين وذوي علم، وإمكانية الانتقاد، وبيان المشكلات والتعبير عنها وتذكيرها للمسئولين، وتقييم أداء مدراء المدن.

وبحسب رأي أمير المؤمنين(ع) في نهج البلاغة فإن الحكومة لا تكون صالحة إلا إذا كانت وسيلة لتحقيق المقاصد الإلهية والإنسانية ووسيلة لإقامة العدل والرفاهية للجميع وحفظ كرامة الإنسان وحقوقه، أرضية ضرورية للنموّ الإنساني، وهي كلها مؤشرات لحقوق المواطنة. يثبت هذا البحث أن الإسلام ليس مجرد عقيدة، بل ينظر إلى جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية للناس، وقد أحيا جميع قوانين المدنية حتى قبل أن يتصورها قادة الغرب، ولأن هذه القوانين ينظمها الله تعالى، وهي مغروسة في الطبيعة البشرية، فيمكن تنفيذها بكل سهولة في مجتمع اليوم وتضمن السعادة الأخروية والدنيوية للمواطنين من خلال إدارة الأشخاص اللائقين وذوي الكفاءات اللازمة. كما تشير نتائج البحث إلى أن عناصر مثل: وجود نظام الضمان الاجتماعي، والرفاهية والاقتصاد الديناميكي، والعدالة والمساواة، وحرية التعبير عن الرأي واختيار الوظيفة، وحق النقد، والروح الناشطة، وحق التمتع بالكرامة الإنسانية وحق التمتع بالأمن هي من أكثر العناصر ذات الأهمية حول حقوق المواطنة في حِكَم ورسائلِ نهج البلاغة.

المصادر

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن(١٩٨٧م) جمهرة اللغة، بيروت، دار العلم للملايين.

ابن شعبة الحرانى، أبو محمد الحسن بن على بن الحسين(٢٠٠٢م) *تحف العقول عن آل الرسول*، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، بيروت، منشورات الأعلمي، الطبعة السابعة.

أبو زيد، بكر بن عبد الله(١٤١٤هـ) براءة *أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة*، دار العاصمة.

الأصفهاني، الراغب(٢٠٠٩م) *مفردات ألفاظ القرآن*، تحقيق: صفوان عدنان داوودى، دمشق: دارالقلم- بيروت: الدار الشامية، الطبعة الرابعة.

إمامي، حسن(١٣٤٢هـ) *الحقوق المدنية*، طهران، انتشارات المكتبة الإسلامية، الطبعة ٢. [بالفارسية]

بيرنظر، مريم(١٣٧٩ش) *ما هو المجتمع المدني؟*، طهران، فرزان روز، الطبعة ١. [بالفارسية]

جوهري، إسماعيل بن‌حماد(١٤٠٧هـ) *الصحاح*، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة ٤.

دهخدا، علي أكبر(١٣٤٧ش) *قاموس*، طهران: انتشارات جامعة طهران. [بالفارسية]

ديرباز، عسكر(١٣٨٠ش) «*العدالة الاقتصادية في كلام وحياة الإمام علي(ع)*»، فصلية الحوزة والجامعة، السنة ٧. [بالفارسية]

رضا، أحمد(١٩٦٠م) معجم متن اللغة، بيروت، دار مكتبة الحياة.

عميد زنجاني، عباسعلي(١٣٨٠ش) «*الإمام علي(ع) وحقوق الأقليات*»، فصلية كتاب نقد، السنة ٥، الرقم ١٨. [بالفارسية]

غرجي، أبوالقاسم(١٣٧٦ش) *العلاقة بين الفقه والقانون*، قم، مؤتمر الحقوق، مجمّع التعليم العالي. [بالفارسية]

قرباني، محمود وحميد نهارداني(١٣٩٠ش) «*مكانة إدارة الموارد البشرية الجديدة في نهج‌البلاغة*»، المؤتمر الوطني لنهج‌البلاغة والعلوم الإنسانية، همدان: جامعة بوعلي سينا. [بالفارسية]

كاتوزيان، ناصر(١٣٦٥ش) *فلسفة الحقوق*، طهران، انتشارات به نشر، الطبعة ٢. [بالفارسية]

المجلسي، محمد باقر(١٩٨٣م) *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار*، بيروت، مؤسسة الوفاء.

مرادي خلج، محمد(١٣٨٢ش) «*مظاهر المجتمع المدني في الحياة الإسلامية*»، مجموعه مقالات مؤتمر المجتمع المدني والفكر الديني، قم: مكتب التعاليم الإسلامية. [بالفارسية]

مظفري، علي(١٣٨٥ش) «*الديمقراطية من وجهة نظر القرآن ونهج البلاغة*»، فصلية أبحاث الفكر، السنة ٣. [بالفارسية]

معرفت، محمدهادي(١٣٧٨ش) *المجتمع المدني*، قم، التمهيد، الطبعة ١. [بالفارسية]

معصومي، مسعود وميرأحمدي، منصور(١٣٧٨ش) *المجتمع المدني في الإعلام*، قم، طاها، الطبعة ١. [بالفارسية]

مولانا، حميد(١٣٨٢ش) *المجتمع المدني*، طهران، معهد بحوث الثقافة والفكر الإسلامي، الطبعة ١. [بالفارسية]

واعظي، أحمد(١٣٧٨ش) *المجتمع الديني، المجتمع المدني*، طهران، معهد بحوث الثقافة والفكر الإسلامي، الطبعة ٢.[بالفارسية]

دراسات حدیثه فی نهج البلاغه

دوره شش،شماره دو(پیاپی۱۲) بهار و تابستان ۱۴۰۲ (۵۶-۴۱)

DOI: 10.30473/ANB.2024.70967.1402

«مقاله پژوهشی»

جامعه‌ی مدنی و حقوق شهروندی در نهج البلاغه؛ مورد مطالعه: حکمت ها و نامه ها

سید احمدعلی هاشمی[۱]، قادر قادری[۲] (ارکید: ۰۰۰۰۰۰۰۱۷۱۳۷۷۵۶۷)، محمدمهدی روشن چسلی[۳] (ارکید: ۰۰۰۰۰۰۰۲۴۸۱۵۲۶۱۵)

۱. استادیار گروه حقوق دانشگاه پیام نور، تهران، ایران
۲. استادیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه پیام نور، تهران، ایران
۳. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه پیام نور، ، تهران، ایران

نویسنده مسئول:
قادر قادری
رایانامه: qaderi@pnu.ac.ir

تاریخ پذیرش: ۱۴۰۳/۰۹/۱۴
تاریخ دریافت: ۱۴۰۳/۰۱/۲۱

چکیده

امروزه مسئله‌ی جامعه‌ی مدنی و «حقوق شهروندی» و مباحثی چون آزادی اندیشه، یکسانی و برابری، آزادی بیان، آموزش‌وپرورش رایگان، آزادی انتخاب محل اقامت، آزادی انتخاب کسب‌وکار و...، تبدیل به شعار دهن‌پُرکنی شده است که گروه‌ها و نحله‌های مختلف آن را سر داده و در پاره‌ای از موارد به‌عنوان ابزاری در راستای ترویج افکار و اندیشه‌های خود و جذب توده‌های مردم از آن استفاده می‌کنند. مؤسسات بین‌المللی و سازمان‌های مردم مدار نیز به این موضوع بسیار اهتمام می‌دهند و به‌منظور گرم نگه‌داشتن بازار فکری خود، در پرداختن به آن از یکدیگر سبقت می‌گیرند. قدرت‌های شیطانی و مافیاهای سیاسی نیز با ماسک‌های جذاب اما نیاتی پلید، این اهرم را برای تحقیر مسلمانان و اجرای منویات شوم خود در میان جوامع اسلامی بکار می‌برند. غافل از این‌که دین مبین اسلام، هزار و چهارصد سال قبل، در احکام و اصول اجتماعی خود اهتمام ویژه‌ای به این موضوع داده و آیات فراوانی از قرآن کریم و احادیث فراوانی از رسول مکرم اسلام، ابعاد مختلف حقوق شهروندی را مورد واکاوی قرار داده است. سیره‌ی مطهر اهل‌بیت نیز نمونه‌ی زنده‌ای از تأکید بر این حقوق می‌باشد. دین مبین اسلام بسیار تلاش نموده است تا زندگی مملوّ از آسایش و آکنده از کرامت و سرشار از امنیت را برای انسان تأمین کند. اسلام حتی فراتر از حقوق بشر، برای حیوانات و گیاهان نیز حقوقی را به رسمیت شناخته است. این جستار درصدد آن است تا در پرتو کلام گهربار امام علی(ع)، به روشی توصیفی- تحلیلی موضوع جامعه‌ی مدنی و حقوق شهروندی را موردبررسی قرار دهد. یافته های تحقیق بیانگر آن است که مؤلفه هایی چون: برخورداری از نظام تأمین اجتماعی، داشتن رفاه و اقتصادی پویا، عدالت و برابری، آزادی در ابراز عقاید و انتخاب شغل، حق انتقاد و داشتن روحیه‌ی کنشگری، حق برخورداری از امنیت و کرامت انسانی از مهمترین مصادیق حقوق شهروندی در حکمت ها و نامه های نهج البلاغه هستند.

واژه‌های کلیدی

امام علی، جامعه‌ی مدنی، حقوق، شهروندی

استناد به این مقاله:

هاشمی، سید احمدعلی، قادری، قادر و روشن چسلی، محمدمهدی (۱۴۰۲). جامعه‌ی مدنی و حقوق شهروندی در نهج البلاغه؛ مورد مطالعه: حکمت ها و نامه ها. دراسات حدیثه فی نهج البلاغه, ۵۶-۴۱(۲)،۶.

doi:10.30473/ANB.2024.70967.1402

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۳ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.

این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)